

المحاضرة (03) : الممارسة اللسانية : اللامألوفية :

تمهيد :

تعتبر اللغة واحدة من أهم مجالات المعرفة التي يشكلها البشر ؛ لأن لها كما رأينا (المحاضرة الماضية) -تأثيرا قويا على طريقة إدراك الناس للعالم الخارجي وتأقلمهم معه .

إن اللغة ليست معرفة فحسب ؛ بل مهارة / أيضا إن لم نقل ممارسة . ويمكن رؤية الاشتغالات العملية للغة عبر المحادثة وجها لوجه ، فالناس يؤدون أفعالا حقيقية عبر طرحهم للأسئلة واصدارهم قرارات وقيامهم بجزم حقائق مزعومة . فبذلك يؤكدون المرتبة الاجتماعية والعلاقة فيما بينهم ، والسيرورة الاساسية الخاصة بتمرير المعاني من عقل الى آخر لا يمكن النظر اليها على أنها مجرد توجيه آلي للمعلومات ، من (أ) إلى (ب) ، لا يعكس صفوه الاضطراب ، بل هي سيرورة من تحديد المعاني والاتفاق عليها ، فالنشاطات اللغوية -استعمال اللغة في تسيير الأفراد -التي تتجلى في عملية الاتصال بين الأفراد ، تعيد إنتاج السيرورات التي تحدث على مستويات أوسع في التنظيم الاجتماعي .

إن الشفرات اللغوية لا تعكس الواقع بحيادية ؛ لأنها تؤول موضوعات الخطاب وتنظمها وتبويبها ، فهي تشمل على نظريات عن طريقة تنظيم العالم : "النظرة إلى العالم" أو " الأيديولوجيات" .

وبالنسبة للفرد ، فإن هذه النظريات مفيدة ومطمئنة ؛ لأنها تجعل علاقته مع العالم علاقة بسيطة وطبيعة " .

ولأن اللغة ليست مجرد معرفة ضمنية وتلقائية (لا -فاعلة) وإنما نشاط نمارسه يوميا وبشكل واسع من خلال الكلام والاستماع والكتابة والقراءة ، فإن توليفات الأفكار المشفرة في اللغة تخضع باستمرار للتأكيد والمراجعة . لذلك فإن المعرفة اللغوية ليست مجرد معرفة للأفكار فحسب ، بل هي معرفة عملية من أكثر أنواع المعارف أهمية .

مفهوم الاعتيادية Familiarity : (الحس البديهي أو الأيديولوجي) الشفرات العرفية والتي أهمها "اللغة" تشفر تصورات عن العالم ويتم قبولها على أنها من البديهيات ، وهي من إنتاج الأعراف الاجتماعية وعليه فإن تمييز الأدغال عن الأشجار من طريق إعطائهما اسمين مختلفين لا يختلف عن التمييز بين الملاعق والسكاكين عن طريق استخدامهما بشكل مختلف على مائدة الطعام : كلا التمييزين محض خيال اجتماعي والحس البديهي = الاعتيادية هو المجموع الكلي لمعاني الشفرات الذي لا غنى عنه للحفاظ على سلامة العقل والتواصل الناجح .

مناقشة الجانب السلبي لهذا الاستعمال البشري للشفرات والمعاني العرفية من أجل تبرير النقد (criticism) والممارسة الإبداعية يمكن اجمالها في ما يلي :

- المعاني المتوافرة للفرد لم يخترعها بنفسه .

• المعاني مشفرة في لغة الطفل المكتسبة .

• اللغة التي يتكلمها الفرد هي لغة المجتمع ليست شفرة شخصية .

• اللغة هي الوسيط الذي يرى العالم من خلاله .

• اللغة تحمل البنى والمعاني التي أجازتها المصالح المهيمنة في الثقافة .

• الأطفال يتعاملون منذ نعومة أظفارهم مع معان تخدم مجموعة مشيدة وأكبر سنا (الوالدان

/المدارس/الدولة/المقررات التعليمية/الكتب/الصحف/الأفلام/التلفزيون.....الخ

• المعنى و المفاهيم المشفرة ليست طبيعية بل هي عرفية التكوين .

• اللغة جزء من الممارسة الاجتماعية ؛ أي أداة للمحافظة على النظام السائد ، فمثلا إشارة المرور تجبرنا على

الإبصار لا الإدراك ، فشفرة حركة المرور سمحت لسلوكنا بأن يصبح اعتياديا ولإدراكنا بأن يصبح أليا وغير

تحليلي .

• الاعتيادية : نزعة طبيعية في الإدراك اليومي .

• الشؤون الحياتية الاعتيادية يتم سياقها في معاني اجتماعية مشفرة بإحكام في اللغة ، ونتاجها من خلال

لغة مألوفة ، ورسمية في الغالب وبطريقة تلقائية .

← اللغة تقوم بالتفكير نيابة عنا ← (رثاة اللغة) = "المركبات المبتذلة" = "التكرار الآلي" ← سيرورة

الاعتيادية .

• اللغة برمتها تنحى دوما نحو تأكيد التصنيفات الراسخة التي غالبا ما تكون مجحفة ، وللقند والأدب على

وجه الخصوص دورا مهما في مقاومة هذه النزعة .

على الرغم من أن اللغة تنتج معرفة ، وتعين الفكر ، وتبسط الإدراك... إلخ فإن مهمة النقد اللساني هي أن

تجعل أكبر عدد ممكن من مستعملي اللغة على وعي بهذه القضايا و النقد الذي ينفذ إلى تحليل أنظمة المعاني التي

تشكل ثقافة ما و الحاجة إلى نشاط نقدي مصاحب لاستعمال اللغة في المجتمع .

إن ما يقوم به النقد هو نزع الاعتيادية عن تصورنا للشيء ودور النقد اللساني هو التحليل الواعي للعلاقة بين

العلامات/الدوال/المركبات... إلخ التي ينتجها الناس وبين المعاني التي يتناقلونها .

ومن هنا ، فإن النقد اللساني يمكن أن يمارس على أي استعمال للغة ، وهو نقد لا يحتاج إلى تعريف خاص بـ

"الأدب" كما أنه لا يقدم أي تعريف "للأدب" ، وهناك مجالان من مجالات الاستعمال اللغوي هما أولويتان

للتحليل النقدي وهما غير أدبيين بالتأكيد : 1 /اللغة العامة الرسمية : البيانات الرسمية للحكومة والإدارة .

2 / مجال الخطاب الشخصي : بين الأفراد .

1) مفهوم مصطلح اللامألوفية : العدول عن المؤلف مقابل للاعتيادية .

اللامألوفية هي استعمال استراتيجية معينة تجبرنا على التمعن ؛ وعلى أن نكون نقديين .

إن تقنية اللامألوفية الناجحة هي التي تبقي على سؤال الشك ذاك حيا لأطول وقت ممكن ، كي تقاوم صفة الإعتيادية .

والمبدأ الأساسي للامألوفية اللغوية يصوره بدقة الشكلاني الروسي البارز "بوريس توماشيفسكي bonis tomashensky" : القديم والاعتيادي يجب أن يتم الكلام عنه وكأنه جديد وغريب و علينا أن نتحدث عن العادي وكأنه غير عادي .

في نظرية فلسفة الجمال تدعى أن الأدب في ذاته هو تقنية من تقنيات النقد : أي النصوص الأدبية تستعمل عن قصد أدوات معينة لتحقيق اللامألوفية .

اللامألوفية الإبداعية في اللغة = تجاوز / محاربة الاعتيادية للشفرات لأن هدف الفن هو أن تجعل الأشياء غير معتادة العرفية نقل الإحساس بالأشياء كما هي مدركة وليس كما هي معروفة ، أن تجعل الأشكال صعبة ، مع صعوبة الإدراك ومدته وهي غاية الجمالية (في فلسفة الجمال والشكلانية).

فاللامألوفية أو ابتكار المعنى يتم تحقيقه عن طريق استعمال شفرة أسلوبية تتعدى محدودية الشفرة اللغوية الموجودة أو تنتقدها ؛ إنها الانزلاق عن العرف إلى الامتثال .

وتعتمد اللامألوفية على التقنيات اللغوية الآتية :

الاستعارة / تضارب الأساليب / الألغاز / المحاكاة التهمكية الساخرة / كسر القواعد التركيبية / أنساق تركيبية زائدة / استعمال مفردات غير معتادة / نحت كلمات جديدة .

وإحدى مهام النقد اللساني يمكن أن تكون دراسة الضمور في التقنيات اللغوية وتحولها من إشراق إبداعي إلى أنساق آلية وعديمة المعنى ، انحطاط أنساق اللغة لتصبح عادة تلقائية .

إن ما بدأ في أزمان غابرة كأداة لقول شيء جديد أصبح نسقا آليا خاليا من أي مضمون .

استجاباتنا تلوثت بما تحتويه معرفتنا من معلومات عن آلية تركيب الشعر ونظمه في المرحلة الأخيرة من ق 18

م .

وهنا يأتي دور النقد اللساني في إنعاش التقنيات الأصلية للقارئ المعاصر الذي يشعر بالملل ويميل إلى المهاترة والتشكيك .